ناجي شعيب

شعر

# أزهار لا تموت
# على قبور الأعزاء

كتاب المرسم

يصدر عن إيزيس للإبداع والثقافة

الإصدارات تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المؤلف

الإشراف العام/ الفنان: أحمد الجنايني

أزهار لا تموت على قبور الأعزاء

مجموعة قصصية

ناجي شعيب

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٨٤٠

الترقيم الدولي 977-17-1234-9

ت: ٢٩٧٢٩٠٠- محمول: ٠١٠٦٧٩٨٩٦٢

## الإهداء

إلى س
لحظة الصدق الوحيدة

ناجي

تبتعد عنى

كل المنازل

التى كانت

دائما

عارية الصدر

والتى كُنْتُ أشب

لألثم حلمتها

وبعد كل رشفة

أزداد طولاً

" تضمر الحلمات الآن

وتغلق نوافذها فى وجهي "

أي جريرة

ألقت بى

إلى كل هذا النماء

لا يتبقى لى من العمر

إلاَّ أجْدَبَه

تخطيتُ الخمسين

ولم تنبت لى أسنان

إنها بركة الحلمات

التى أستعصى فطامى عليها

ألعق

من ضوء العتبات

إحمرار وجنتيَّ

وأشتهي

الصدر الممزق

بحكمة الأطباء

تلك لعنة السائل

والمحروم

وارتجاف الكهل

ما حكم المودة

لحظة احتضار الكره

أليس لطغيانها من ضريح

أسمع نفسى

وهي تصلصل

والأمنيات الشهيدة

تملأ القبور

ما أسباب إصرارى

على عدم المقاومة

هل لأنى

مهزوم بشرف

من قبل على يديها ؟

أم لأنى

أمتلك الآن

بطاقة حريتي الوليدة

كل البراهين

التى صدقت قديماً

تكذب الآن

دون خوف أو مواربة

ما عاد للقلب الذى كان

يجنح دائما كما يشتهي

دون خوف أو ضجيج

أن يتوارى خلف أهدابه

فله الآن مساحة للتعرى

حتى أمام نفسه

لا تسامح . ولا تصالح

فطوبى لمن

استُئصلت مودته

وتم إطعامها

لأبنائه الأعزاء

كلما ازدات أجنحتى طولاً

إزداد وزني ثقلاً

كلما ثقلت بى أيامي

إزدادتْ ذاكرتي انتعاشاً

إننى الآن ممتلئ

بالنساء الفارغات مني

وبالصدور التى شُذِّبت

بسكين كهولتى

بركة هذا الأبيض

والمشرَب بالعجز

والملامح الغاربة

فى حويصلة الشمس

كل البراهين الآن
لا تصدقني القول
فتارة أكون
أملس الصدر ناعماً
وتارة أخرى
تنبت على بطنى أشجارٌ
حتى أصبحت كالذئب
الذى غير جلده وحذاءه
ويأكل الآن
من حقول الذاكرة المرة
تنبت الأعشاب السامة
على فخذيه

فتموت الأمنيات
على أجساد العاريات كمداً
أي ملاذ لى أو مفر
من هذه الأكفان العارية
والمتلئة بالصور الفاضحة والمحتشمة
والمطموسة بالوحل المحمل بالعرق
لماذا لا يبدو عليَّ أى اكتراث
ولماذا لا تأخذني غفوة
فأنام
رحمة بمن يشتهون موتى
على أجسادهن
وغفراناً لى عن جريمة
لن أرتكبها

تُغْتَصَبُ الأفكار امام عينىَّ

فلا ترتعش أهدابى

تجرّنى تاجرة الرقيق

من حبل خصرى

فأزداد فرحا

إننى الآن أكره العتق

وأوثر سلامة الركض على جسدها

خوفاً من الكلاب

التى تنبح داخلى

فكل البراهين التى صدقت قديما

تتعرى الآن أمام عيني دون أدبٍ أو حياء

بيني وبين أطول أحلامك

ملايين السنين الضوئية

وبيني وبين أقصر أحلامك

عربة تجرها خيول الروح

فكيف تعيشين الآن

وما أحوالك .. ؟

وكيف أعود إلى حيث كنت

وحيدا

تتشفى الخيول التى أطلقتها

فى مراعيك القديمة فى

زهرة البراءة البيضاء

تحولتْ إلى اللون الأزرق

وأنا أعود بأقدام مبتورة
متأرجحاً بين الغارب والمغترب
تحضننى يدي
لكى تغلنى
ما الذى ينفعني الآن
وقد رحلت عربة الأجراس
ذات الرنين الرخيم
محملة بكل الأماني الخطرة
وتملأها صناديق قُبِرَتْ فيها
قطيفة العمر
لم يتركوا لى إلا مقعداً مُقعداً
وأقدام أكلتها الأجنحة

ووسادة تزداد

مساحة كرهها لرأسى

عند منتصف كل ليلة

ماذا تبقى لك الآن ؟

بعض الأوجاع والخدر

فى هذا الذراع الأيسر

ناتجاً عن تلك الجراحة المزدوجة

وبعض الشعيرات السوداء

والتى تتآكل بفعل الأرق

وأربعة أبناء أعزاء

تأكل من أيدْيهم الحصرم

ولثة تهاجمها الأحماض

للتخلي عن غرسها

وأصدقاء أعزاء تنفر منهم

وتلقيهم بعيداً عن روحك

أهل وأقارب..

يعيشون في مرفئك

مثل السفن المحطمة

ماذا تبقى كي لا تغوص

في بحر تنقصه المودة

بعد أن كان لك عنفوان

يتباهي بك ويفاخر

بين كل أقرانه

القبور القانية اللون

تتحول الآن إلى مراع

تمتلئ بالخيول المهجنة

أسْرِجْ لى أيها الموت القادر

حصاناً لا يعرف اللغة

كى لا يفهم

ما يُكتب داخلى من ألم

أيها القلب الواقف

عن الحركة

كيف تسنى لك

إخراجي بهذه السرعة

من هذا السباق

وأنا فى المقدمة

كنت دائما أطعمك الحب والسكر

ليس لى الآن خيارٌ

ولو أخير

فالحشائش التى تنمو سريعا

على جنبات الروح

لا يصُنع منها خبز

فَلْنَعِشْ سوياً دون أسنان

وحتى نهاية هذا السباق

أنت الفائز الواقف دائما

فى مكانه دون حراك

وأنا الخاسر الأعظم

لست بحاجة للفرار

فالمجهول ارتداد إلى داخلى

وأنا ليس لى نعومة الأفعي

ولا ولاء الذئب

ولا رقة القابض على معصمه

أيها الوحش النبيل

الذى لا يشتهي فريسته

كيف لتلك الرحمة داخلك

أن تنبت أو تزهر ؟

أنها قبور قانية اللون

كلما أبحرت منى سفينة

ازداد التصاقى بالقاع

وأصبح البحر حوضاً

مليئاً بالمرارة المنعشة

فالأشرعة

هي التى تأكل الآن

أجنحة الطيور

وملاذى الأخير الوحيد

فيما تبقى لى من ريش

أبحرت آلاف الليالى

وهي محملة بالقهر والروماتزم

فهل تذهب إلى حيث تنتمي

أم تأتلف ولو للحظة

مع ضحالتى

تمكر الأيام وأنا أمكر
وتتراقص الحية الملساء
على موسيقى فحيحها
كل الفئران التى تملأ صدرى
أقسمت ألا تنتحر
واستعدت للإبحار
مع الليالى الألف القادمة

المطر ما زال متصدعاً

والريح العكسية

ترتق ما تمزق من اشرعتى

تلوح الآن فى الأفق

جزر حلزونية الرؤى

أسمع من بعيد

أصوات الغناء الخافت

رويداً .. رويداً

السفن الغارقة

تهلل فى القاع

والأشرعة العالقة بصدرى

يمزقها السعال

أنه هواءً محملاً

بطيور هاجرت منى قديما

واستوطنت تلك الجزر الهاربة

ما حكم هذا البلى
الذى أصاب مخيلتي
لحظة أن تقاسم جسدي
الحزن والأرق ؟
ما عدت أطيق المقامرة
فأوراقى تتجمع أمامى
من تلقاء نفسها
هدية للخاسر الأعظم
والذى كلما ألقى مرساته
إزداد اليم عمقا
وأقبلت السفن الغارقة
مسرعة فى اتجاهه

تنبت الأزهار فى رئتي

وتمد خراطيمها الألف

لتتغذى على البراعم الصغيرة

إنها الأمنيات النبيلة

التى تملأ القلب ضجيجاً

مقهورة تلك الليالى الغاربة

المتجهة وهي حاملة روحى

إلى حيث منتهاها

تخرج الأزهار من رئتي
يانعة لا تعرف الذبول
إنها الأزهار التى توضع
على قبور الأعزاء
فلا تموت أبداً
لكل باقة من هذه الزهور
أريجٌ خاص
وهى تحتضنني دائما
برائحة الذكريات القديمة
بذلك العطر الذى لا يزال
يملأ رأسى نشوة وتمايلاً

ليس  للوقت وصاية

على تلك الرائحة

ولا للزمن من قوة

أو أحكام بالتلاشى

ولا حتى للريح أى عنفوان

ليحملها دون عناء

بعيداً عن روحى

تنبت الأزهار فى رئتىَّ

دون أن ترتوى

فهي تستمد الماء

من رحيقى

والهواء من رونقى

والشمس من اشتعالى

أنها حكمة العشق

التى لا تغيرنا أبداً

بل تبقينا على ما نحن فيه

ترحل وتجئ

فى اخضرار ومودة

تلك هي الأزهار الدائمة

التى لا زالت ترعانى

برغم السعال الدائم

الذى يُقطّر جبيني ألماً

ويعتصر روحي اعتصاراً

تنمو داخلى

عرفاناً بجميل لى عليها

فهي عندما توضع

على قبور الأعزاء

لا تموت أبدا

هل يقتص الحزن
لنفسه الآن منى
فلا يترك للعيون ماءها
يأكل اليابس كلما اخضر
ويترك الثلج حتى يتراكم
من حولى
سأهاجر الآن إلى حيث
تاريخي القديم فهو الملاذ
والصديق الذى يقهر الحزن
ويلبسنى المعاطف الخضراء

أراكم الآن

وأنتم تتشدقون بحسرتي

انه الكفن العارى

الذى جنح به الخوف

وألقاه على جزء لا تأتلف معه

ولم تسعفه الدعوات

ولا الموسيقى

أوراق عمره تطقطق

فى مبخرة الطفولة

وارتطامه بالذكريات

تنبت له أسنان

وتقوى له السيقان

والحوافر

سيفر الحزن خائبا

دون اكتمال قصاصه

بعد أن تعود

على ذاكرة الملح والعلقم

أراكم الآن وأنتم تشيحون

بوجوهكم في غير اتجاهي

مسالمين . محيين . ومحبين .

كالعرائس الورقية .

وهى تشتعل أمام عينى

" أهلي وأقاربي وأصدقائي

الذين تحولوا أمام عيني

إلى سفن غارقة "

في مرفئي

تمر الأعوام وأنتم غرقى

ألا تعرفون ما للطغو

من مكائد

وما للأشرعة من أسنان

ومالي من ذاكرة تحترق

ليسهل عليها صعودها

وهي محملة بروحي

الليالى الطويلة

المقرونة دائما بالهزيمة

تركض خلفى كسلحفاة طائرة

كلما فقدت ساقا

نبت لها عشرون

كلما ابتعدت ميلاً

قربت منى عشرين

تملأها رغبة وحشية

تثقل خطواتى

تُخْرِج منى فحيحاً

أسودَ دون أقمار

من البادئ بالحرب على الآخر

الليالى الطويلة

المقرونة دائما بالهزيمة

أم الليالى القصيرة

التى تحتضن روحى

تحت حراسة أقمارها ؟!

تلك الزهرة الدائمة النُّضَارةُ

التى لم تأخذ من العمر

أكثر من غيرها

أصبحتْ طائراً يصارع

جناحيه

كي لا يحملانه بعيداً

صارت فراشة

لا تحتمل النور

إنها تكره كل ما يحملها إلى الأبد

فالأبد بذرة تنمو

فتملأ الروح خراباً

أقرب مسافة لارتقاء الحلم

هي عربات النور

المزينة بلآلئ العيون

والتى تجرها خيول

مرغمة على الطيران

كلنا لتلك الليلة النورانية ضحايا

وكلنا مقابر لأحلامنا

وكلنا صغاراً

نتقلص أكثر فأكثر

ونحن نرعى فى مراعى الحزن

كل أحوالنا بخير مؤقتً
نجمنا الوحيد الذى أفل
بعد بزوغه هو أيضا بخير
وصحراؤُنا التى تحولت إلى مراعٍ
هي أيضا بخير
والهواء الذى يملأ الرئة
ولا يقدر على حملها ، بخير
إنه يتجمع فى بالونة الخير لينفجر
كيف كل شئ بداخلك
هكذا وبسهولة يتنازل
عما خلقه الله له !! .

لتصبحي كالرحى الطيبة
والتى تحنو على أجنحة العصافير
أنه الريش النائم
فى مسامّ القلب
ودون عناء
تنبت للذكريات أجنحة
لأنها خارجة من رحم طيب
تلك مسافة الفوضى
التى تحاصر أفكارى
ينمو الجنين على محفة الجنون
وتمتلئ الرئة بالعصافير الملونة
كي يسافر القلب إلى مبتغاه
وهو محملٌ بأرغفة اللهفة

تلتصق بقلبى علامات الاستفهام

فالإجابات ارتقاء

لنعش طفولتى

والأسئلة هي ملاذى الوحيد

الذى أحتمي به

تلك الزهرة التى

لم تأخذ من العمر

أكثر من غيرها

هي التى فضت بكارتي

وجعلتنى بُرعماً نادر الوجود

كنا نتجاذب الحب

كقطبى مغناطيس

تلك الذكريات الآفلة

أحلاماً تضئ

واللحظات المضيئة

ذاكرة مطموسة

بزغ النجم

وتوارت الأيام خلف ضوئه

من أين لكِ أيتها الزهرة

كل هذه القوة المضيئة ؟

ومن أين لى

كل هذا الصبر النافذ ؟

أنتِ الآن وحدَكِ

وأنا محاط بكل ما تتمنيى

أقمارك . وصيفاتك من النجوم

أشعارك . الظلال التى تُقطِّر
عرقها فى مسامى
حروقك والكلمات التى علمتنى الشعر
بعد أن كنتُ دائما
الحدث التائه فى غابات الرجولة
وكنتِ دائما
الظبية التى تحملنى
على ظهرها لأنجو

كيف كان لرجولتى أن تكتمل

وأنا أعانى دائما

وهج أنوثتك

قدماى تملأن الشوارع

صراخاً

أهذا هو حالى الدائم ؟

أم الجرح سوف يُشفى ؟

تمتد ريحها

كغطاء أبدىّ على حافتها

لأجرى جانحاً على مسارى

فشرط المحبة أن تدوم

تداوم

وشرط الدموع أن تجف

هو العمي

لا لكل ألوان الطيف

التى تتجمع فى قوس ظهرى

فكل ألوان الدموع

تموت فى الأبيض

وتحيا فى الأسود

وتنام فى صدرى

دون أحلام عظمى

ودون محاولة لتحرير

قلبى المحتل بالأرق

والذى لا يقبل منكِ

أيتها الشجرة الباسقة

قصيرة العمر

تلك الرصانة المقهورة

قلبى لا يُقْدُم على الطيران
بأجنحته العملاقة
لارتقاء سمائه الحاضنةُ
واللعب حتى تكل أقدامه
من ركل النجوم
والعوم فى غسق المودة الحانية
يكفيه منكِ
رتق سيولة لحظة فورانه
فهو لن يرضى بغيرك رحماً
يحتضن ذاكرته المعلقة
من أربطها
فى ركنٍ قصىّ من العقل

كيف تعاقبين هذا العاق

والذى كلما حنَّ إليكِ

اشتهاكِ

وكلما حاول نسيانكِ

مات

وكلما أتيتِ إلى منامه

غطَّ

وكلما روَّضْتيه ازداد شراسة

وكلما افتقدكِ

جثا على قدم الحزن

أكان حقا ذلك الموت متعمداً ؟

أنت لا تملكين تلك الإرادة الغاشمة

وهو لم يحفل أبدا بهذه التضحية

لقد استنزف كل مدخراته

وأصبح عالقاً دون حنان يشتهيه

محملاً بإرثه المليء بعدم الوفاء

من سيقتص لمن ؟!

الرحم الممتلئ بالأطفال ؟

أم الذاكرة العاقرة ؟

كيف للشيخوخة

أن تقهر

هذه الروح الناعمة ؟

دائما ما يفجر الماس حزنه

حزماً من الضوء

فتمتلئ قلوب الأطفال بالنجوم

من سيحاكم الموت

على اجترائه علينا

ليسطع منه

لحظة احتياجنا النوراني ؟

له كل العذر فنحن من فرَّطنا

فى تلك الثمرة الدائمة النضج

أن من يراني الآن

لا يراني

تلاشت كل ملامحي الحية

وبقيت مسامِّى التى تتسع

فينبت فيها الجدب

ساعة القلب التى تدق

من حين لأخر

هربت عقاربها الميتة

ولاذت بالصمت

هل هو صمت الخائف

أم صمت فائض عن حاجتى

على الشوارع الآن

أن تطرد قدمىً

وعلى الليل أن يهرب إلى حيث ألقت

وعلى الشمس أن لا تترك لى

أي مساحة للاحتضار

وعلى الموت ألا يتقبل روحي

تلك مأساة العاق

والمطرود من عليائه

فكيف يبالى بكل هذا الوقت

المدون فى مذكراته

وما قيمة الأحبار

التى استنزفت لحظة ميلاده

لم أعد أمتلك رحماً

اسكننى فسيح جناته

فلتطمئن كل نساء الأرض

واللاتى لم تسعني أرحامهن

فأنا مطرود من عافيتي

ومحكومٌ عليَّ بالخصوبة المبكرة

والتى استنزفت ينابيعي

حتى الثمالة

سيان أن ربطتُ حزام المقعد
أو لم أربطه
فهذا الصدر
المرتخي مثل الأسفنج
لم يعد قادراً
حتى على لفافة تبغ
أو التمييز بين دخانها
والهواء الساخن
الذى يضرب أنفى
من لحظة لأخرى
المظاهرات الصاخبة
المحتجة على إتمام
هذه الزيارة الغامضة

منذ كنا معاً

وأنا أقتطع من الزمن لحظات

كي أبتعد عن القيود الحريرية

والتى كنت دائما أظن

أني مكبل بها

وهي مكبلة بى

أنه العنف الذى يملأ جنباتي

ومخيلتي ورأسى

التى أصبحت فارغة

حتى الثمالة

أتسكع الليل كله

على أرصفة التمرد

أتعرى لنفسى أمام نفسى

هائماً دون وجهه أقصدها

إلى أن تُطفأ المصابيح

وتفرغ الشوارع من المارة

هي مقدراتي من الحرية

التى دائما ما كنت

أحارب نفسى للحصول عليها

الشمس والهواء

والليل والقمر

لم تكن تترك لى أي بقايا

من العمر الذى نعيشه

تشدني إلى حيث صدرها

الممتلئ دائما بالأمومة

حتى حرمتنى براءة الطفل

لحظة تكسير لعبه

عُنف الشاب وغيرته

وأنا أتشاجر من أجلها

ووقارى الكهل

لحظة غفوتي فى حضنها

نَزَقى وجنوني الخائن

لحظة قسوتي عليها

صبرى وسكينتى

لحظة إفراغها الرحمة داخلى

حتى أصبحتُ الطفل
الذى لا يستأنس أبداً
فشراستى زادت بتدليلى
ودهشتى كبرت باكتشافها أغوارى
وحنينها الذى يدثرني دائما
لم يترك لى ما أتمرد عليها بى
لكنها أعادت لى
الآن كل شئ
وأنا متوجِّهُ لزيارتها

إنها امرأة

قلبها من العشب

عندما أستلقى على خضرته

تمرق الخيول منه إلى قلبى

ويتساقط الريش من أجنحتى

تلك هي وريفتى

وامتداد الضوء لعيني

هوسى الذى يحطُّ

على الفراش بجانبى

تصفيق أجنحتى لنفسى

وهتاف أقدامي

عند ملامسة أقدامها

أأتمنها على أفعالى السيئة

وتأتمنني على ألحاني من وريفتها

جزء منها ، بقاياها
يستمر القلب المدمي
على خفقاته ثم يهمد
كذبيحة تفرفر في يد الموت
من حلاوة الروح
استيقظ الآن
على رنينها المتقطع
لأنام مرة ثانية دون كوابيس
الليل لحظات متقطعة
والأرصفة خطوات متقطعة
وجدراني المليئة بالصور
ذكريات متقطعة

والأحلام والكوابيس

رؤي متقطعة

والأميال هي الأخرى

سنونَ متقطعة

من الذى يدخر لى

كل هذه المتقطعات ؟

مَن غيرها .. ؟

تستطيع رتق هذا الجرح

وما تبقى من سنين

ليكتمل الكفن

معلقة روحي

بين السماء والأرض

تارة أراها تتسكع

على أرصفة النجوم

وتارة أخرى تغوص داخلى

فى محاولة منها لاصطياد البرق

تارة أراها معلقة

على جدرانى التى تهدمت

وتارة أخرى فى بساتيني

تصطاد الفراشات الميتة

إنها الروح التى تخرج منى

وهى دائما خاسرة

قلَّ ضوُءها

من كثرة الرحيل والرجوع

وأصبح عدم الاحتمال

والقدرة على المراوغة

ملاذها الوحيد

وارتدادها الأخير

حيث الظلمة الملثمة

والأمنيات المقهورة

وارتعاش اليدين بقوة

من كثرة ارتوائها

إنها إجازة مدفوعة الثمن

أبهظ ثمن

وأكبر خسارة

أدفعها دون اعتراض

من العمر القادم

والممتلىء بالأطفال الأعزاء

وروائح اللبن المتخمر

واليانسون

والأنفلونزا

والسُّعال

محموماً من ليلة الأمس
لم أطق ملامسة جبهتى
لم أحتمل قسوة الثلج
عند اصطدامه بحرارتى
إنه الفراش الوثير
الذى أهملته أيدي بناتى
أتلوى عليه ولا أكمل نصفه
مسافة شاسعة وقاحلة
بين القلب والضلوع
بين جبيني المحموم وقطيفتها
لم أقم حساباً
لتلك اللحظة الآنية

أي جرم ارتكبته كي أصبح

مثل حجرة ممتلئة بالأتربة

ومعلق على جدرانها

صور للسعال الدائم

لقد خانتنى اليوم ذاكرتى

فلا أتذكر اسمى الذى حملته

طيلة أعوامى السابقة

ولا يتذكرني أطفالى

الذين أنجبتهم بحنو ومودة

إنهم الآن حيث قصائدى

التى أهملتُهم

وموسيقاى التى أصمت آذانهم

وتفاهاتى التى قتلت

داخلهم كل احتمالات الثورة

والتمرد

ذلك الخريف الأحمق
الذى يقبع فوق رأسى
وهو ملثمٌ بعاداتي السيئة
إنه لم يترك لها داخلى
أي التفات
حيث كانت تراني وأراها
تزداد الحمي تألقاً
وتطل على ساعات العرق
ليس لمفتاح الصداع
أي فائدة ترجي
ولا للخل والكحول أي معنى
أنها الجرائد القديمة الصفراء
التى تمتص من الروح ماءها
فتزيد الغيبوبة اشتعالاً
والذاكرة طمساً
ورائحة العرق ازدهاراً

ينتظرون أن أرجع

من حيث أتيت

أترك لهم الجدران القديمة

دون أن أنزع ما عليها

من صورٍ وذكريات

لقد بدأوا فعلا محاولات قهرى

بطلب رفع الحنين عن روحي

ويتهمونني بالخيانة وعدم الوفاء

كل حجتهم أنني لا أنقطع أبداً

عن زياراتكِ ولفترات طويلة

وأنني دائما المقلق لراحتك

هم لم يعلنوها صراحة

إنهم لا يستطيعون الجهر بها أمامى
لأنهم يعلمون جيداً
أننى أستمد من روحك
قوة عظمي أقطع بها دابرهم
لكنهم ينسجون المؤامرات
لاصطيادى فى زوايا القهر الجنسى
ترتفع الأصوات مطالبة
أن أتنحي عنكِ
فى امرأة أخرى
أو أي أرض أخرى
أى شئ يسلبنى قدرتى
والتى استمدها
من عدم التنحي

تضئ مصابيح أطفالى
فلا أتعثر فى درجات السلم العشر
يضحكون فيزداد الشهيق والزفير
ويخرج الأكسجين النقى
من أنوفهم ليملأ أنفى
تلك هي المرحلة الحاسمة
فى كل تاريخ طفولتى
لذا لن أعود أبداً
إلى حيث هم يريدون
ولن أطرح جسدي الدافئ
على وهج صحرائهم الباردة

إننى مُلْقى داخل صناديق

أمانيهم الخطرة

تتجمع رفاتي داخل حناجرهم

المسفوحة الصوت

يستنشقون ما تبقى لى

من هوائهم المسموم

لا لتحطيم الجدران

وقطع الأحبال الصوتية

ولا للنوافذ التى تدخل

من عتمتها أصوات رحيلى

لتجعلني أتجه نحوي دون هدف

أو دليل

حاملاً راية عصياني

على عصيانهم

وكاسراً كل تمنياتهم الخاسرة

بسلاطة لساني

وكثرة لعابي المسموم السائل

والممتلئ بالأحجار

وكل أسلحة الرجم

إنه الخريف . الخريف

الذى عرّى عن بدني

كل ما يحتويه من أشجار

لتهاجر طيور الروح

تاركة أعشاشها للريح

بذرة الموت الأليف

والتى نبتت فى بيتي

دون قبول أو رعاية

أيها الحزن المطيع

الذى يتوارى خلفى

مفجراً ينابيع أغلقتها السنون

الضاحكة إلى الأبد

رغم احتمالات الغموض

أيها الحزن المطيع

إنك تملأ الروح

ازهاراً ومرارة

تلك الأحجار الغشيمة

التى تسيل من لعابى

على صدر امرأة أخرى

لا أتقبلها ولا تحتويني

مثل أسراب اليمام

والذ حط ليموت فوق أكتافى

من الذى جعل الغربان الطائرة

تتهيأ الآن للغناء

إنه الموت الخارج من جثتى

الملقاة عبر كل تلك السنين

متوجهاً إلى حيث أقرب نقطة ضوء

فرت أمام عيني من عينها .

أسمع صوتاً خافتا

يقول لى

لا عليك

إنك الفرح الذى لا يزول

أبداً من روحي

أيها العشب النامي

فوق سريرى وسريرتى

كيف تحس اليتم الآن

وأنا ممتلئة بك أمي وأبى

ألا تعرف أن النجم لا يسطع

دون التفاف الأقمار حوله

فتهيئ للشروق الأبدي

دون حياء أو مواربة

أحملك إلى حيث يتسع أفقي

إلى حيث النوافذ المضيئة

والمفتوحة على مصاريعها

واللاهثة وراء الضوء الشارد

من جبينك المحموم

تلك الدموع الفاترة

لا يحتويها الحزن

ولا تحتويه

فهي كالعصافير الميتة

الملقاة دون قبور

تلك الرائحة

والتى تملأ المقاعد

والأسرة والأركان

تنام الآن على أنفى

حسرة وشوقا واحتياجا

تملأ شفتى برائحة التبغ

الذى تكرهين

وتملأ رأسى

بالأبيض المكروه

والذى دائما تحبين

إنه الدم جرح السعال

ولذة اشتعال الرئة

التى أصبحت

مثل أسفلت لزج

يلتصق بإطارات السيارات

أتعلمين ما أنا فيه الآن ؟

تقتطع مني مساحات شاسعة

لتبور أمام عيني

تقلم أشجارى الشاهقة

وتُجَز ليُصْنع منها

تابوت لن يحتويني

حتى أكثر أزهارى يناعة

لن توضع فى أصيصها

فهم يقولون

إنكِ الأولى بالرعاية

وإنها ليست أزهاراً للزينة

لكي توضع على قبور الأعزاء

قررتُ أن أنحيّك

عما تبقى من حياتي

فلا شئ يربطني الآن

بطغيان هذا العشق

ليس كما تدعين

إننى أشتهيك

حتى فى غفوتى

وليس كما تقررين

إنك من أرضعتني

من نهديك رونقى

وليس كما تعتقدين

إنك الأولى والأخيرة

وليس كما تعلنين

إنك المحركة لكل الثورات داخلى

وأننى أشتهي دخولك قلبى
من باب الفرح
وليس من باب الدموع
لا شئ يربطني بك الآن
سوي الأبناء الأعزاء
والملامح المزدوجة
التى ورثوها
والتى اختلطت داخلهم
لتحولهم إلى ملائكة وشياطين
تحط دائما فى عريشة القلب
وتركب عربة الموسيقى
التى تجرها روحي
وتسافر بهم بين خلاياى
وهي محتمية بملامحك
التى تستعمرنى

قررتُ أن أنسى

وأضمد الجرح

الذى يزداد اتساعاً

كل ليلة

وأنا فى انتظارك

ولن تأتي

قررت أن لا أنام

كي أقطع عليك خط الرجعة

لحظة دخولك أحلامي

سأوصد باب الحلم

بعد النوم

وسأترك باب النسيان

مفتوحاً على مصراعيه

وسأملأ الجزء الخالى من السرير

بالكتب وشرائط الكاسيت
وعلب الأدوية
ومراهم الروماتيزم
وقبل كل ذلك
سأنزع صورتك الصغيرة
المعلقة على صدرى
والتى أستمد منها سكينتى
وسأنزع الصورة الكبيرة
التى بالحجم الطبيعي
من أعلى شرفة السرير
حتى أصبح لا حول لى ولا قوة
فأنا ما عدت أشتهي
كل هذا الدفء

بعد أن قَتَلتْ رائحة السجائر

جو الغرفة الربيعيَ

والذى أمتلأت أيضا

بصراخ الأحفاد الأعزاء

تعودت أن أكون وحيداً

وأنام على جانب واحد

من السرير

متكوراً كدمعة

أقطع الحلم جيئة وذهاباً

حتى تكل قدماى من التعب

أنبش الثلج الذى يحاصرني

حتى تدمي أظافرى

وآخر الليل

أركب عربة لا تجرها الخيول

حتى لا يفقأ صهيلها عيني

أذن فأنا ساكنٌ

دون حراك

وحيداً دون مبالاة

أمتلئ كل ليلة بالشهوة المرة

كالقهوة السوداء الرديئة

بآلاف الرسائل المشفرة

التى يستعصى حلها

على ما تبقى لى من عمر

طبقات من الغيوم

وملايين من قطرات المطر

وآلاف من لسعات البرد والزكام

أين لى من قوة لأصدَ بها

هذا الغزو الشتوى الرهيب

بعد أن فقدت

كل أغطية الدفء

من النهود القطيفة

والحريرية

ولم يعد فى ترسانتى

غير الصدور التى صنعت

من البرونز

الأسنان تصطك من الرعب

والأطراف

تتجمد بمجرد سماعها

عن كل استعدادات هذا الغزو

والمفاصل

تترك العنان لخشونتها

كي لا أقوى على النهوض

تلك خيانة الجسد

الانسحاب المبكر

من أرض المعركة

سقط من يدي البيرق الوحيد

والذى كان يحضه على عدم الخيانة

نزعت بكامل إرادتي

صورة بالحجم الطبيعي

كانت معلقة على قلبى

وتكفيني دائما شر القتال

- نقوش أدمية / 94 / هيئة الكتاب / عامية .
- الطمة والبيوت العالية / 95/ دار النيل للطباعة والنشر / عامبة .
- صوت الرجوع / 96 / هيئة قصور الثقافة / عامية .
- غنمه في حجر صيادها / 99 / دار الوفاء للطباعة والنشر / عاميه .
- صندوق الشوار / 2000 / هيئة الكتاب / عامية .
- قبض وفيض / فصحى / تحت الطبع .
- حمام بلدي / عامية / تحت الطبع / الهيئة العامة .
- الحنين اللى فات / عامية / تحت الطبع / الهيئة العامة .
- لحظة الصدق الوحيدة / عامية / تحت الطبع / الهيئة العامة .
- نسيان وصدق / تحت الطبع / اتحاد الكتاب .
- أزهار لا تموت على فبور الأعزاء / فصحى / تحت الطبع / كتاب المرسم .
- ببعض من كتاباتي أزور حبيبتى / فصحي / تحت الطبع / أصوات أدبية .
- لحظات رخوه / فصحي / تحت الطبع .
- هزيمة غير معلنه / فصحي / تحت الطبع .